

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ (٣٠)

ثم قال تعالى إظهاراً للرحمة في خلقه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أي ذاهباً في الأرض إلى أسفل، فلا ينال بالفؤوس الحداد، ولا السواعد الشداد، والغائر عكس النابع، ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ أي نابع سائح جار على وجه الأرض، أي لا يقدر على ذلك إلا الله عز وجل، فمن فضله وكرمه أنبع لكم المياه، وأجراها في سائر أقطار الأرض بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلة، والكثرة، فله الحمد والمنة.

تفسير سُورَةُ الْقَلَمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُورُنَّ﴾ (١)

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء في أول سورة البقرة؛ وأن قوله: ﴿تَ﴾ كقوله: ﴿صَ﴾ ﴿تَ﴾ والظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به، كقوله: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (٢) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٣) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٤) فهو قسم منه تعالى، وتنبية لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم. ﴿وَمَا يَسْطُورُنَّ﴾ وما يكتبون، أو وما يعملون، أي وما يسطرون يعني الملائكة، وما تكتب من أعمال العباد.

﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ (٥)

﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ أي لست - والله الحمد - بمجنون كما يقوله الجهلة من قومك المكذبون بما جنتهم به من الهدى والحق المبين فنسبوك فيه إلى الجنون.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ (٦)

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي بل إن لك الأجر العظيم، والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبداً على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق، وصبرك على أذاهم. ومعنى غير ممنون: غير مقطوع، كقوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرٌ يُجْذَوْفُ﴾ [هود: 108] ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرٌ مَمْنُونٍ﴾ [التين: 6] أي غير مقطوع عنهم.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٧)

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وإنك لعلی دين عظيم، وهو الإسلام، أو لعلی أدب عظيم. سئلت عائشة عن خلق رسول الله قالت: كان خلقه القرآن، تقول: كما هو في القرآن، ومعنى هذا أنه عليه

الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً، سجية له فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم، وكل خلق جميل، كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال: أف قط، ولا قال لشيء فعلته لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟ وكان ﷺ أحسن الناس خلقاً، ولا مسست خزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ. روى البخاري: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً، وأحسن الناس خلقاً، ليس بالطويل ولا بالقصير. وروى الإمام أحمد عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قط، ولا ضرب امرأة، ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإذا كان إثماً كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم من شيء يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمت الله، فيكون هو ينتقم لله عز وجل. وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» تفرد به الإمام أحمد.

﴿فَسَبِّحْهُ وَبُصِّرْهُ﴾ (٥)

﴿فَسَبِّحْهُ وَبُصِّرْهُ﴾ (٥) يَا أَيُّكُمْ الْمَفْتُونُ (٦) أي فستعلم يا محمد، وسيعلم مخالفوك ومكذبوك من المفتون الضال منك ومنهم؟

﴿يَا أَيُّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ (٦)

وهذا كقوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْآخِرِ﴾ (١١) [القمر: 26] كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبا: 24].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٧)

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٧) أي هو يعلم تعالى أي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدي، ويعلم الحزب الضال عن الحق.

﴿فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) وَلَا تَطْعِ كُلَّ حُلَافٍ مِّمَّهِينَ (١٠) هَآؤُنَا مَسَآءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ (١١) مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَتَمِّعُ (١٢) عَتَلْ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمِ (١٣) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِفُهُ عَلَى الْخُرُطُوبِ (١٦)

يقول تعالى: كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم، والخلق العظيم ﴿فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) لو ترخص لهم فيرخصون ﴿وَلَا تَطْعِ كُلَّ حُلَافٍ مِّمَّهِينَ﴾ (١٠) وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانه إنما يتقي بإيمانه الكاذبة التي يجترئ بها على أسماء الله تعالى، واستعمالها

في كل وقت في غير محلها. المهين: الكاذب، أو هو الضعيف القلب، قال الحسن: كل حلاف مكابر مهين ضعيف. ﴿هَكَازٍ﴾ مغتاب ﴿مَشْلَمٍ بِمِيسِرٍ﴾ يعني الذي يمشي بين الناس ويحرس بينهم، وينقل الحديث لفساد ذات البين، وهي الحالقة. وقد ثبت في الصحيحين: مر رسول الله ﷺ بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة» وفي الحديث: «لا يدخل الجنة قتات» رواه الجماعة إلا ابن ماجه ﴿مَنَاجٍ لِلْعَبِيرِ مُعْتَدٍ أَنِيرٍ﴾ أي يمنع ما عليه وما لديه من الخير ﴿مُعْتَدٍ﴾ في تناول ما أحل الله له، يتجاوز فيها الحد المشروع ﴿أَنِيرٍ﴾ أي يتناول المحرمات ﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيرٌ﴾ أما العتل فهو الغليظ الغظ وأما الزنيم، ففي البخاري: رجل من قريش له زنمة مثل زنمة الشاة، ومعنى هذا أنه كان مشهوراً بالسوء كشهرة الشاة الزنمة من بين اخواتها. وإنما الزنيم في لغة العرب هو الدعي في القوم. ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ يقول هذا في مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين كفر بآيات الله عز وجل وأعرض عنها وزعم أنها كذب مأخوذ من أساطير الأولين. ﴿سَاسِئُهُ عَلَى الْقَرْطُورِ﴾ سنين أمره بياناً واضحاً حتى يعرفوه، ولا يخفى عليهم كما لا تخفى عليهم السمة على الخراطيم.

﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْبَمُوا لِيَصْرِمُهَا مُصْبِحِينَ﴾ وَلَا يَسْتَنُونَ ﴿٧﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾

هذا مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة وأعطاهم من النعمة الجسيمة، وهو بعثة محمد ﷺ فقابلوه بالكذب والرد والمحاربة ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ﴾ أي اختبرناهم ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ وهي البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه ﴿إِذْ أَقْبَمُوا لِيَصْرِمُهَا مُصْبِحِينَ﴾ أي حلفوا فيما بينهم ليجذن ثمرها ليلاً لئلا يعلم بهم فقير، ولا سائل ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء ﴿وَلَا يَسْتَنُونَ﴾ أي فيما حلفوا به، ولهذا حشهم الله في أيمانهم فقال تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ﴾ أي أصابتها آفة سماوية ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ أي كالليل الأسود، أو مثل الزرع إذا حصد، أي هشماً ييساً ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾ أي نادى بعضهم بعضاً وقت الصبح.

﴿أَنِ اعْبُدُوا عَلَى حَرْفٍ إِن كُنتُمْ صَاحِبِينَ﴾ فَأَنظَرُوا وَهُمْ يَخْتَفُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَعَدُوا عَلَى حَرْفٍ قَدِيرٍ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَصَّالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ خَرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالِ أَوْسَطُهُمْ أَلْزَأَلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا بَلَوْنَا إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ ﴿٣١﴾ عَسَى رَبَّنَا أَن يَبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

﴿أَنْ أَعْدُوا عَلَىٰ حَرْبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي تريدون الصرم ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ﴾ (٢٢) أي يتناجون فيما بينهم بحيث لا يسمعون أحداً كلامهم ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ﴾ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ أي يقول بعضهم لبعض: لا تمكنوا اليوم فقيراً يدخلها عليكم ﴿وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْبٍ﴾ أي قوة وشدة ﴿قَدِيرِينَ﴾ أي عليها فيما يزعمون ويرومون ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ﴾ (٢٥) أي بل هي هذه، ولكن نحن لا حظ لنا ولا نصيب ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أعد لهم وخيرهم ﴿أَلَمْ نَأْتِكُمْ لَوْ لَا تَسْتَحْشَرُونَ؟﴾ هو قول القائل: إن شاء الله، أو هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم ﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٢٦) أنوا بالطاعة حيث لا تنفع، وندموا واعترفوا حيث لا ينجع، ولهذا قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٢٧) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوْنَ ﴿٢٨﴾ أي يلوم بعضهم بعضاً على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حق الجزاء، فما كان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب ﴿قَالُوا بِرَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٢٩) أي اعتدنا وبغينا وطغينا وجاوزنا الحد حتى أصابنا ما أصابنا ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرَ نَبْتٍ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ (٣٠) قيل: رغبوا في بذلها لهم في الدنيا، وقيل: احتسبوا ثوابها في الدار الآخرة ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾ أي هكذا عذاب من خالف أمر الله وبخل بما آتاه الله، وأنعم به عليه، ومنع حق المسكين والفقير وذوي الحاجات، وبذل نعمة الله كفوفاً ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كُنَّا بِعِلْمُونَ﴾ أي هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم، ولعذاب الآخرة أشق.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ (٣١) أَفَنَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْجَاهِلِينَ ﴿٣٢﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٣﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٤﴾

لما ذكر تعالى حال أهل الجنة الدنيوية، وما أصابهم فيها من النعمة حين عصوا الله عز وجل، وخالفوا أمره بين أن لمن اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم التي لا تبيد ولا تفرغ ولا ينقص نعيمها. ثم قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْجَاهِلِينَ﴾ (٣٢) أي أنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء؟ كلا ورب الأرض والسماء، ولهذا قال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٣٣) أي كيف تظنون ذلك؟. ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ (٣٤) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَّا تَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ يقول تعالى: أفأبيديكم كتاب منزل من السماء تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه بنقل الخلف عن السلف متضمن حكماً مؤكداً كما تدعون؟

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَّا تَحْزَنُونَ﴾ (٣٥) أَمْ لَكُمْ آيَاتُنْ عَالِيَةً بَلِّغُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَّا تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَمْ شُرَكَاؤُا يَشْرِكْهُمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَّا تَحْزَنُونَ﴾ (٣٥) أَمْ لَكُمْ آيَاتُنْ عَالِيَةً بَلِّغُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَّا تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أي أمعكم عهد منا ومواثيق مؤكدة ﴿إِنَّ لَكُمْ لَّا تَحْكُمُونَ﴾ أي إنه سيحصل لكم ما تريدون وما تشتهون ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ (٣٧) أي قل لهم: من هو المتضمن المتكفل بهذا؟ ﴿أَمْ لَمْ شُرَكَاؤُا﴾ أي من الأصنام والأنداد ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٤٢) خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ رَهَقَهُمْ ذُلٌّ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِكُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرَفِي وَمَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَتْلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْتَلْهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٧﴾

لما ذكر تعالى أن للمتقين عند ربهم جنات النعيم بين متى ذلك كائن وواقع فقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٤٢) يعني يوم القيامة، وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام. في البخاري: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً» وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وفي غيرهما من طرق، وله ألفاظ، وهو حديث طويل مشهور: ﴿خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ رَهَقَهُمْ ذُلٌّ﴾ أي في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه. ولما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة، إذا تجلى الرب فيسجد له المؤمنون، ولا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد، بل يعود ظهر أحدهم طبقاً واحداً كلما أراد أحدهم أن يسجد خر لقفاه، عكس السجود، كما كانوا في الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون. ﴿فَذَرَفِي وَمَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن، وهذا تهديد شديد، أي دعني وإياه، مني ومنه، أنا أعلم به كيف أستدرجه وأمده في غيه، وأنظره ثم آخذه أخذ عزيز مقتدر، ولهذا قال: ﴿سَنَسْتَرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي وهم لا يشعرون، بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة، وهو في نفس الأمر إهانة كما قال سبحانه: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُسْقِئُ مِنْ مَالٍ وَنَتِينٍ﴾ (٥٥) سَأَجُّهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ [المؤمنون: 55، 56] وَأَتْلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٥٧﴾ أي وأوخرهم وأنظرهم وأهلهم، وذلك من كيدي ومكري بهم، ولهذا قال: ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ أي عظيم لمن حالف أمري، وكذب رسلي، واجترأ على معصيتي. وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ليملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ظَلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ﴾ (١١٦) [مود: 102] والمعنى في ذلك أنك يا محمد تدعوهم إلى الله عز وجل، بلا أجر تأخذه منهم، بل ترجو ثواب ذلك عند الله عز وجل، وهم يكذبون بما جنتهم به بمجرد الجهل والكفر والعناد.

﴿فَأَصْبَرَ لِخُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَالِحِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ (٤٨) لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُكُمْ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنَدَّ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾

﴿فَأَصْبَرَ﴾ يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم، فإن الله سيحكم لك عليهم، ويجعل العاقبة لك، ولاتباعك في الدنيا والآخرة ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَالِحِ الْحُوتِ﴾ يعني ذا النون، وهو يونس عليه السلام حين ذهب مغاضباً على قومه فكان من أمره ما كان ركوبه في البحر، والتقام الحوت، وشروء الحوت به في البحار، وظلمات غمرات اليم، وسماعه يسبح البحر بما فيه للعلي القدير الذي لا يرد ما أنفذه من

التقدير، فحيثُ نادى في الظلمات ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87] قال الله تعالى: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَبَيَّنَّا لَهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَوِّجُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: 88] ﴿لَوْلَا أَنْ تَدْرِكُهُمْ نِعْمَةُ رَبِّهِمْ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُمْ مَذْمُومُونَ﴾ [١٩] فامر الله الحوت فألقاه بالعراء.

﴿فَأَجَبْنَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [٥٠]

﴿فَأَجَبْنَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [٥٠] روى الإمام أحمد عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى» وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة.

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَعُوا الدَّيْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [٥١] وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [٥٢]

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ﴾ لينفذونك ﴿بِأَبْصَرِهِمْ﴾ أي يعينونك بأبصارهم، يعني يحسدونك لبغضهم إياك، لولا وقاية الله لك، وحمايته إياك منهم، وفي هذه الآية دليل على أن العين وإصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة. روى أبو داود عن رسول الله ﷺ: «لا رقية إلا من عين أو حمة أو دم لا يرقأ» وروى مسلم في صحيحه: «العين حق، لو كان شيء سابق القدر سبق العین، وإذا استغسلتم فاغسلوا» انفرد به دون البخاري، وعن ابن عباس كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين يقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة» ويقول: «هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحاق وإسماعيل ﷺ» أخرجه البخاري وأهل السنن. وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ أي يزدرونه بأعينهم، ويؤذونه بالسستهم، ويقولون إنه لمجنون، أي لمجيئه بالقرآن، قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [٥٢].

تفسير سورة الحاقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَاقَّةُ﴾ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِوَاعَدِ الْفَارِغَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَمْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأَمْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ رَأَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨)